# النفاق والمنافقون

بقلم
الدكتور محمدي عبد الرحمن عبد الله
مدرس التفسير وعلوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعـــد

إن النفاق ظاهرة خطيرة يترتب عليها أضرار كبيرة في المجتمع فالحق يلبس ثوب الباطل والباطل يلبس ثوب الحق وتزول الفضائل وتظهر الرذائل ولقد أردت بهذا البحث أن أكشف النقاب عن حقيقة النفاق وصفات المنافقين والنتائج الخطيرة التي تترتب على النفاق راجياً المولى عز وجل أن يجنبنا النفاق وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه إنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور / محمدي عبد الرحمن عبد الله

١٧ من رجب سنة ١٤٠٣ هـ
٣٠ من إبريل سنة ١٩٨٣ م

## حقيقة النفاق :

النفاق هو إضمار الشر وإظهار الخير ، ولقد ظهر أول ماظهر فى الإسلام بالمدينة المنورة بعد غزوة بدر الكبرى .

وسبب ظهوره كما يقول ابن كثير أن عبد الله بن أبى كان سيد الخزرج وكان رئيساً لهم وللاوس قبل الإسلام ثم رأوا أن يجعلوه ملكا عليهم ، فلما جاء الخير أسلموا واشتغلوا عنه بمجرد ظهور الإسلام وانقادوا له ولقائده محمد ﷺ فبقى فى نفسه من الإسلام وأهله شيء فلما كانت وقعة بدر وظهرت شوكة المسلمين قال : هذا أمر قد توجه يريد بالأمر الملك ويريد بوجهه زواله عنه وقد دفعه يأسه من تحقيق أمنيته أن يدخل فى الإسلام كما دخل قومه ولكنه دخله مزالياً غير مخلص ، ودخل معه آخرون من قومه وغيرهم على شاكلته كما حدث مثل ذلك من طائفه من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق فى أهل المدينة ومن حولهم من الاعراب .

وظاهرة النفاق التى ظهرت فى المدينة ظاهرة صحية إيجابية لأن الإسلام حين نشأ فى مكة لم يظهر معه النفاق فى مكة لأن الذى ينافق (بفتح الفاء) هو القوى والإسلام فى مكة كان ضعيفا ، لم يستطع الأولون أن يحموا أنفسهم فلا يمكن أن ينافقهم أحد فلما ذهب الإسلام إلى المدينة واستطاع أن يقهر أعداءه وأصبح قوى الشكيمة ظهرت ظاهرة النفاق وخاصة من عبد الله بن أبى الذى كان يتطلع إلى الزعامة والسيادة .

## أنواع النفس البشرية :

النفاق مرض إجتماعى ينشأ عن الحقد والضعف النفسى والطمع .

فالنفس البشرية أنواع : فهناك نفس تريد أن تقوى على سواها ، ونفس أخرى ترى أنها قبل أن تقوى على سواها لابد أن تقوى على نفسها ونفس لاتقوى على نفسها ولا على سواها .

فالنوع الأول هو الكافر فهو يقوى على المؤمنين ولا يقوى على نفسه بحملها على منهج الله .

والنوع الثانى هو المؤمن فهو قوى على نفسه بإلزامه لها منهج الله وتقوى على أن تواجه شراسة الباطل .

والصنف الثالث هو المنافق فهو لا يقوى على نفسه لذلك لم يستطع أن يقبل دعوة الحق لأن نفسه شرسة فلم يقو على أن يكبح جماحه عن الباطل وليس قوياً مع دعاة الحق فهو يخاف منهم فأعلن الإيمان بالحق ظاهراً لأنه لا قوة له على مواجهة هذا الحق ولا قوة له على مقاومة نفسه والقدرة عليها ليؤمن بهذا الحق .

# ( صفـــات المنافقين )

والمنافقون لهم علامات يتميزون بها كشف القرآن الكريم والسنة النبوية هذه العلامات ومن بين هذه العلامات : -

## ( ١ ) إظهار الايمان واضمار الكفر :

إن المنافقين يقولون بأفواههم آمنا بالله وباليوم الآخر ولـكنهم بقلوبهم كافرون جاحدون قال تعالى: « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين » (١) .

والمنافقون فى إيمانهم الظاهرى من أخبث مايكون ـ فالقوم يهود وقد اختاروا نقطتين من الإيمان . الإيمـان بالله واليوم الآخر وإيمانهم بالله فى حقيقته كفر لقولهم عزير بن الله وإيمانهم باليوم الآخر ليس صحيحاً ، لأنهم يزعمون معتقدات باطلة فى إيمانهم باليوم الاخر فهم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارا و زعمون أيضاً بأن النار لن تمسهم فى الآخرة إلا أياماً معدودة .

ونحو ذلك من هـذه الافتراءات والمغالطات . قال تعالى : « وقالوا ان يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » (٢) « وقالوا ان تمسنا النار إلا أياماً معدودة » (٣) .

ولقد نفى القرآن عنهم بأنهم لم يؤمنوا بانتفاء صفة الإيمان عنهم ( وماهم بمؤمنين ) » وهـذا أبلغ فى النفى من قوله لم يؤمنوا لأن الجملة الإسمية تفيد الدوام والإستمرار .

---

( ١ ) الآية ٨ من سورة البقرة .
( ٢ ) الآية ١١١ من سورة البقرة .
( ٣ ) الآية ٨٠ من سورة البقرة .

ونلاحظ فى الاية القرآنية أن إيمانهم جاء مقيداً بالله وباليوم الاخر ( آمنا بالله وباليوم الاخر ) أما نفى الإيمان عنهم فجاء مطلقاً فقال : « وماهم بمؤمنين » ليبين أنهم ليسوا من الإيمان فى شىء قط لامن الإيمان بالله وباليوم الاخر ولا من الإيمان بغيرها .

والمراد باليوم الأخرهو يوم القيامة بما فيه من بعث وحساب وغيرذلك.

وهذا كشف من الله لرسوله عن المنافقين لأنه إذا لم يتضح أمرهم فسوف يكون سبباً فى فساد عريض للامة قال تعالى : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » (١) .

والمنافقون لجهلهم بالله وصفاته يفعلون ذلك لظنهم أن الله يخدع « بضم الياء » وهم يستطيعون أن يخدعوه لأن الخدع معناه أن يوهم صاحبه خلاف مايريد به من المكروه قال تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون » (٢) ولفظ يخادع يفيد المشاركة من الجانبين أى أنه حدث خداع من المنافقين لله وللمؤمنين وحدث خداع من الله للمنافقين .

## ( خداع المنافقين لله وللمؤمنين ) :

هو إظهار الإيمان وإضمار الكفر بغية مصالح لهم تتحقق ومنها إعفاؤهم من المحاربة ، ودفع الجزيه ، والفوز بالمغانم التى كان يغنمها المسلمون ، وإحترامهم عند المؤمنين ، وإطلاعهم على أسرار المسلمين حتى يذيعوها إلى أعداء المسلمين وهم فعلوا ذلك ظنا منهم أن الله ممن يصح خداعه مثل بعض المؤمنين قال تعالى : « يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء إلا انهم هم الكاذبون » (٣)

---

( ١ ) الاية ١ من سورة المنافقون .

( ٢ ) الاية ٩ من سورة البقرة .

( ٣ ) الآية ١٨ من سورة المجادلة

## خـــداع الله للمنافقين :

هو باجراء أحكام المسلمين عليهم فى الدنيا .

ولفظ خادع لايفيد تمام الفعل وتحقق المخادعة كما تقول قاتل فلان فلانا لا يعنى ذلك أنه قتل فلان فلانا فكذلك المنافقون لم يخدعوا الله ولا المؤمنين بل خدعوا أنفسهم « وما يخدعون إلا أنفسهم » .

## كيف خدع المنافق نفسه ؟

أولا : المنافق يحاول أن يخفى ما فى بطنه ويظهر غيره وإذا نظرنا فى ذلك الهدف لم نجده محققاً عند المنافقين لأن الله كشفهم للنبى ﷺ .

ثانياً : المنافق يحاول أن يستفيد ممن يخدعه وإذا نظرنا فى تلك النقطة لم نجده استفاد شيئاً بل أضر نفسه لأن غيره ممن بقى على دينه ظل آمناً لأن الإسلام لا يجبر أحد اعلى اعتناقه « لـكم دينكم ولى دين » (١) الا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) (٢).

ولـكن المنافق بنفاقه انـكشف أمره واتضح هدفه وظهر خطره فأصبح الخلاص منه واجبا ومن خطره .

إذن الخداع لم يأت لصالحه وإنما جاء ضده ولذلك ختمت الاية بقوله « وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » أى أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم وذلك الضرر قاصر عليهم ولكنهم لا يشعرون به فهم لتمادى غفلتهم أصبحوا كالذى لاحس له .

---

(١) الاية ٦ من سورة الكافرون

(٢) الاية ٢٥٦ من سورة البقرة

والذى يدفعهم إلى ذلك الخداع هو المرض الكامن فى قلوبهم قال تعالى : «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانو يكذبون»(١)

والمراد بالمرض المعنى المجازى الذى هو آفة فى الإدراك كسوء الاعتقاد والكفر أو الهيئة الباعثة على ارتكاب الرذائل كالغل والحسد والبغضاء ، فصدور المنافقين كانت تغلى على رسول الله ﷺ والمؤمنين غلا وحنقاً ويبغضونهم البغضاء التى وصفها الله فى قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر »(٢)

وكانوا يتحرقون عليهم حسداً « إن تمسكم حسنة تسؤهم »(٣)

ولقد حدث أن النبى ﷺ أردف أسامة على حماره يعود سعد بن عباده قبل وقعة بدر فمر على مجلس فيه عبد الله بن أبى قبل إسلامه وأخلاط من المسلمين واليهود والمشركين فلما عشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبى أنفه بردائه وقال : لا تغيروا علينا فسلم رسول الله ﷺ ونزل ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن وقال عبد الله مقالة آذى بها رسول الله ﷺ فلما دخل على سعد ابن عبادة قال يا سعد : ألم تسمع إلى ما قاله أبو الحباب يريد ابن أبى فقال يارسول الله اعف عنه .

وكلما زاد الله رسوله نصرة وتبسطا فى البلاد ونقصاً من أطراف الأرض إزدادوا حسداً وغلا وبغضاً وازدادت قلوبهم ضعفاً وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم من نصر على المسلمين قال تعالى « فزادهم الله مرضا ».

أى زادهم حقداً على حقدهم وكفراً على كفرهم وضلالا على ضلالهم

---

(١) الآية ١٠ من سورة البقرة .
(٢) الآية ١١٨ من سورة آل عمران .
(٣) الآية ١٢٠ من سورة آل عمران .

فالجزاء من جنس العمل قال تعالى « فأما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون » (١) وقوله تعالى « والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم » (٢)

وقوله تعالى : « بما كانوا يكذبون » المراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الآخر ، ودلك فيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ، وعن ابى بكر رضى الله عنه وروى مرفوعا « اياكم والكذب فانه مجانب للايمان »

ولقد كان المنافقون يفسدون فى الارض وافسادهم فيها أنهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على المسلمين باطلاع أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدى إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم ( لا تفسدوا ) نهى لهم عن الافساد فى الارض ولما نهوا عن الافساد توهموا أنه قد حكم عليهم بانهم يخلطون الفساد بالاصلاح فاجابوا بانهم مقصورين على محض الاصلاح ولا يشوبه شيء من وجوه الفساد : ( قالوا انما نحن مصلحون ) واختاروا « انما » تنبيها على أن ذلك الاصلاح فى الارض المكشوف لا مرية عليه ولا ينبغى أن يشك فيه قال تعالى موضحا هذه الحقائق كلها :

« واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون » (٣)

وهذه هى عادة المنافقين فى كل زمان اذا اردت أن تاخذ بايديهم الى النجاة وترشدهم الى الصراط المستقيم واذا نبهتهم عن مفسدة يفعلونها ادعوا ذلك

---

١ — الآية ١٢٥ من سورة التوبة

٢ — « ١٧ من سورة محمد

٣ — « ١١ من سورة البقرة

وذلك وهم أنهم لايفعلون الا الاصلاح ولقد كذبهم الله سبحانه وتعالى فى ادعائهم الصلاح فقال تعالى : «ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون» (١)

« وألا » مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى لاعطاء معنى التنبية على تحقيق مابعدها ، وفى رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدلة على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف ومافى كلتا الكلمتين الا وان من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل ( هم ) فى قوله تعالى : ألا انهم هم المفسدون » .

والمنافقون حينما يدعوهم داعى الايمان يتظاهرون بالقبول واذا خلا بعضهم إلى بعض استنكروا مادعاه داعى الايمان ووصفوا المؤمنين بسخافة العقل وخفة الحلم ولقد رد القرآن الكريم عليهم وكذبهم فى دعواهم . قال تعالى : « واذا قيل لهم آمنو كما آمن الناس قاموا أنؤمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون » (٢)

وهذه الآية بينت مذهبهم وترجمت عن تفاقهم ولقد بين القرآن الكريم فى الآية اللاحقة لهذه الآية ما كان المنافقون يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم أنهم معهم فاذا فارقوهم الى شط ار دينهم صدقوهم مافى قلوبهم قال تعالى : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » (٣)

وروى فى سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن أبى وأصحابه خرجوا

---

(١) الاية ١٢ من سورة البقرة

(٢) « ١٣ « « «

(٣) الاية ١٤ من سورة البقرة

ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله : أنظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر فقال : مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد على فقال : مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ماخلا رسول الله ثم انحر فوافقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت ؟ فاثنوا عليه خيرا فنزلت هذه الاية .

## نظرة تحليلية فى الاية .

خلوا بمعنى انفردوا ، والشيطان مشتق من شطن بمعنى بعد وسمى بذلك لبعده عن الصلاح والخير .

ولقد اختلفت مخاطبة المنافقين للمؤمنين عن مخاطبة المنافقين لاخوانهم الشياطين فخطابهم للمؤمنين بالفعل امنا بدون توكيد وخطابهم لشياطينهم بالجملة الاسمية مؤكدة بالتوكيد وذلك لان المنافقين فى ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئة من قبلهم لافى ادعا انهم أو حديون فى الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان أنفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رعبة واعتقاد وإما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار الذين وصفهم القرآن (ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطئه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفره واجرا عظيما «١»

والمؤمنون الحقيقيون حينما يخبرون عن أنفسهم بالايمان يؤكدون كلامهم

---

(١) الاية ٢٩ من سورة الفتح

لانه صادر عن قلب سليم « ربنا انا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار (١)

وأما مخاطبة المنافقين اخوانهم من الشياطين فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عندهم متقبل منهم فكان مظنة التحقيق ومئنة التوكيد وقوله تعالى حكاية عن المنافقين « انما نحن مستهزئون » جواب عن سؤال مقدر كأن سائلا من المنافقين سأل وقال اذا لم تكونوا مؤمنين فما الذى يدفعكم الى اظهار الايمان ؟

فكان الجواب من المنافقين ( انما نحن مستهزئون ) والاستهزاء السخرية والاستخفاف واستهزاء المنافقين بالمومنين اظهار الايمان وابطان الكفر . وحينما استهزأ المنافقون بالمؤمنين لم يحوج الله المؤمنين الى الاستهزاء بهم مثلما استهزأوا بهم ولكن الله هو الذى تولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين قال تعالى : ( الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ) (٢)

ولقد كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازله بهم مستمرة قال تعالى : ( أولا يرون أنهم يفتنون فى كل مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون (٣) وما كانوا يظنون فى اكثر اوقاتهم من تهتك استار وانكشاف اسرار وتنزول فى شانهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم شيىء من الوحى يكشف سوءاتهم قال تعالى : ( يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون (٤)

وقوله تعالى ( ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ( أى يزيدهم فى غلوهم فى

---

(١) الآية ١٦ من سورة آل عمران

(٢) « « ١٥ « سورة البقرة

(٣) « « ١٢٦ « سورة التوبة

(٤) « « ٦٤ « سورة التوبة

الكفر وتجاوزتهم الحد فى العتو متجددين مترددين لا يدرون أين يتوجهون وهذا فرق كبير بين المؤمنين والمنافقين ، المؤمنون يمنحهم الله الطائف فتزايد الانشراح والنور فى قلوبهم ، أما المنافقون يمنعهم الله الطائف ويخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه فتزايدت الظلمة فى قلوبهم وأسند الله الى الله سبحانه وتعالى لانه جزاء لهم من الله من جنس اعمالهم فهم بسبب كفرهم مدهم الله فى طغيانهم ولذلك أضيف الطغيان اليهم بسبب ما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين «لو شاء الله ما أشركنا» (١) ثم علل القرآن ما حدث لهم بقوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (٢)

ان الدين القيم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فالمنافقون ولدوا وهم على فطرة الله ولكنهم استبدلوها بالضلالة وهى الجور عن القصد وفقد الاهتداء وهى تدل على البعد عن الصواب فى الدين - ولما استبدلوا الضلالة بالهدى لم تربح تجارتهم لان الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيئان - لامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة شيئ وحين لم يبق فى أيديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بظهور وابه من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دائما ولانه لا يقال لمن لم يستفد له رأس مال قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر .

٢) المنافق لسانه أحلى من العسل وقلبه أمر من الصبر :

قال تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها

---

(١) الآية ١٤٨ من سورة الانعام

(٢) « ١٦ من سورة البقرة

ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد (١)

ان المنافق دائما هدفه الحياة الدنيا وليس للاخرة نصيب في حياته فلقد كان الاخنس بن شريق وجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله ﷺ الان له القول وادعى انه يحبه وأنه أسلم وقال : يعلم الله أني صادق فنزلت فيه هذه الآيات وقيل هو عام في المنافقين . (٢) فلقد كانوا يدعون محبه الرسول ﷺ بالباطل يطلبون به حظاً من حظوظ الدنيا ولا يريدون بذلك الحب والاخرة . وهذا المنافق ومن كان على شاكلته وسلوكه يظهر ما في قلبه الناس حينما يتولى أمرا من أمور الناس يظهر الحقد الدفين الذي في قلبه فاذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل ويظهر الظالم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه المطر فيهلك الحرث والنسل واذا وعظه واعظ اخذته العزة بالاثم على رد قول ، الواعظ والمنافقون دائما ينتظرون ما يجد للمسلمين من نصر او اخفاق فاذا حدث للمسلمين نصر قالوا لقد كنا معكم فاسهموا لنا في الغنيمة واذا كانت الغلبة للكافرين قالوا لهم لقد كنا بوسعنا ان نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فأبقينا عليكم بالاضافة الى هذا ثبطنا المؤمنين عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبكم ورضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهانوا نصيبا لنا مما اصبتم قال تعالى : ( الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (٣)

---

(١) الاية ٢٠٤، ٢٠٥ من سورة البقرة

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٥٣

(٣) الاية ١٤١ من سورة النساء

ومن محاسن نكت اسرار القرآن فى هذه الايه أن سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه. وأما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنئ يصيبونها فالمنافقون ليس لهم هدف معروف لا الى الكفار منسوبون ولا الى المؤمنين منسوبون فهم كما وصفهم القرآن : مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء «١» إنهم يفلتون انضمامهم الى الفريق الذى يحقق مصلحة دنيوية لهم قال تعالى : ( ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين «٢»

ولذلك فالمنافقون دائما على حذر وعلى خوف من أن يفضح الله أمرهم. « بينما رسول الله ﷺ يسير فى غزة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال : احبسوا على الركب فأتاهم فقال : قلتم كذا وكذا فقالوا : يانبي الله لا والله ما كنا فى شئ من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فلم يعبأ الرسول ﷺ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه قال تعالى : « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون . ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد

---

(١) الاية ١٤٣ من سورة النساء

(٢) ،، ١٠ ، ،، العنكبوت

كفرتم بعد ايمانكم وان نعف عن طائفة منهم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين . » (١) « وقال تعالى : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون . » (٢) فالمنافقون قلوبهم منكوسة لانهم عرفوا الحقيقة ثم أنكروها

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : القلوب اربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح . فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فاى المدتين غلبت على الأخر غلبت عليه . (٣)

٣ ـ الحلف الكذب

ان الانسان الكاذب هو الذي يحلف لأنه لا يصدق نفسه فكيف يظن أن الغير يصدقه قال تعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والاخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير » (٤)

---

(١) الاية ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ من سورة التوبة

(٢) الاية ٤ من سورة المنافقين

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٢٧ .

(٤) الاية ٧٤ من سورة التوبة .

لقد أقام رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك شهرين ينزله عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمح من معه منهم ، ومنهم الجلاس بن سويت فقال الجلاس : والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصارى للجلاس : أجل والله ان محمد الصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده وقال : اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت الآية ( يحلفون بالله ما قالو ) فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله التوبه والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (١)

وقال تعالى : « سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانو يكسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ) (٢)

بين الله تعالى أن المنافقين يحلفون بالله للمؤمنين أنهم كانو معذرين فى عدم الذهاب معهم فى غزوة تبوك فيأمر الله المؤمنين أن يعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم لأنهم رجس لأن المعاتبة لا تنفع معهم ولا تصلحهم والمؤمن فقط هو الذى يوبخ على ذلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل الى تطهيرهم وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم وان غرضهم فى الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها ولقد بين الله ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم فهم دائما يتلقون الناس

---

(١) تفسير الكشاف جـ٢ ص٢٠٣

(٢) الآية ٩٦ من سورة التوبة .

بالأيمان الكاذبة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يتعلمون وصدقهم فيما يقولون وهم من شانهم أنهم كانوا فى الباطن لا يالون الاسلام وأهله خبالا فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس قال تعالى : « اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون » (١)

روى مسلم عن زيد بن أرقم قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبدالله بن أبى لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله . قال زهير وهي قراءة من خفض حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال : فاتيت النبى ﷺ فاخبرته بذلك فارسل الى عبدالله بن أبى فساله فاجتهد يمينه مافعل فقال : كذب زيد رسول الله ﷺ قال أتوقع فى نفس ما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديق « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » (٢) .

قال : ثم دعاهم النبى ﷺ ليستغفر لهم قال : فلووا برؤسهم . وقوله تعالى : « كانهم خشب مسندة » وقال : كانوا رجالا أجمل شيىء (٣) .

## ٤ — خلف الوعد :

روى أن ثعلبه بن حاطب قال : يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال ﷺ : يا ثعلبه قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه

---

(١) الاية ٢ من سورة المنافقون .

(٢) الاية ١ من سورة المنافقون .

(٣) مسلم / ٤ / ٢١٤٠ ـ الشعب

فدعا الرسول ﷺ فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل كثر ماله حتى لا يسده واد فقال : ياويح ثعلبه فبعث رسول الله ﷺ عمال الصدقة لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ الذى فيه الفرائض فقال : ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزيه وقال : ارجعا حتى أرى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه ياويح ثعلبه مرتين ، فنزلت الآية الشريفة « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » (١) ، (٢)

فجاء ثعلبه رسول الله ﷺ بالصدقة فقال : ان الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال : هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها الى أبى بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه .

وهذا هو جزاء المنافقين يموتون على النفاق فالجزاء من جنس العمل . فخلف الوعد فى حد ذاته ثلث النفاق . وخلف الوعد بالنسبة للمنافقين أمر ملازم لهم حتى مع أصدقائهم الذين يوالونهم فأن ابن أبى زعيم المنافقين وأصحابه راسلوا بنى النضير على القتال معهم وعلى نصرتهم وعلى الخروج معهم ان خرجوا ثم أخلفوا وعدهم معهم وبذلك صدقت نبوءة القرآن فيهم

---

(١) الاية ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ من سورة التوبة .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٣٧٤ .

قال تعالى « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحد أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن لن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون» (١)،(٢)

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا وان كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب ، واذا وعد حلف ، واذا خاصم فجر ، واذا عاهد غدر (٣) .

الخيانة :

إن المنافق دائما خائن لأنه يضمر العداوة فهو ينتهز أى فرصة للنيل ممن يتظاهر أنه يحبهم ففى غزوة أحد حينما خرج المسلمون لملاقاة الأعداء بعد مشاورة وأخذ ورد فى الخروج الى العدو أوعدم الخروج وبينما هم سائرون فى الطريق بالشوط بين المدينة وأحد أنخزل عنه عبد الله بن أبى بن مسلول بثلث الناس وقال : اطاعهم وعصانى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس به فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب (٤)

ولقد هم المنافقون بالفتك برسول الله ﷺ وذلك عند مرجعه من تبوك . تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح

---

(١) الاية ١١ ، ١٢ من سورة الحشر

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٢٤٠ .

(٣) البخارى / ٥ كتاب الإيمان ١٤ ص ١٩ .

(٤) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤٧ .

فالفتت فإذا قوم متلثمون ( فقال : اليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا

قال سبحانه وتعالى « وهموا بما لم ينالوا » (١) ، (٢)

قال ابن اسحاق فى غزوة بنى المصطلق أصيب رجل من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له ( هشام بن حبابة ) أصابه رجل من الأنصار من رهط عباده بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن دبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث أو قد فعلوها وتحدثا خردنا وكاثرونا فى بلادنا والله ما عدنا وجلابيب قريش الا كما قال الأول اسحق كلبك يأكلك ،أما والله لئن رجعت الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو امسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم . (٣)

وقال ابن اسحاق أيضا فى سيرته : خرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب تقصد الهجوم على المدينة فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبا للمسلمين فى الأجر وعمل معه المسلمون فيه فداب فيه وداًبوا . وأبطا

---

(١) الاية ٧٤ من سورة التوبة .

(٢) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢١٥ .

عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يتسللون الى أهليهم بغير علم رسول الله ﷺ ولا اذن . وجعل الرجل من المسلمين اذا نابته النائبة عن الحاجة التى لا بد له فيها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه فى اللحوق بحاجته فيأذن له فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله رغبة فى الخير واحتسابا له . قال تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستاذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا يستاذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم (١) ، (٢)

ولقد بين القرآن الكريم أن المنافقين هم الذين كانوا يتركون العمل بدون استئذان . قال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (٣)

ولقد بين الرسول ﷺ أن الخيانة من صفات المنافقين . عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » (٤)

٦ — الإعراض عن حكم الله والرسول ﷺ :

كان اذا حدث نزاع بين منافق وبين أحد من الناس وذهبا إلى رسول

---

(١) الآية ٦٢ من سورة النور .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٨ .

(٣) الآية ٦٣ من سورة النور .

(٤) البخارى / ٥ كتاب الإيمان / ١٤ / ١٩ .

الله ﷺ ليحكم بينهما فاذا تبين أن الحق عليه تولى وأعرض ولم يرض بحكم رسول الله ﷺ . أما إذا كان الحق له يأتى إليه منقادا ومسرعا والذين يفعلون ذلك إما أن يكون بسبب زلل فى عقيدتهم أو بسبب خلل فى الحاكم بسبب ظلم أو غيره أما وقد ثبت عدل الرسول ﷺ واشتهر اتصافه بالأمين فاذا ثبت ذلك فقد ظهر أن ما حدث منهم إنما هو بسبب خلل فى عقيدتهم ولقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة ( وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون » (١) .

وأن المنافق من علامته إذا اخطأ ونصحه مؤمن بان يذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له أعرض واستكبر

قال محمد بن اسحاق فى السيرة : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعنى مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبى بن سلول كما حدثنى ابن شهاب الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين اظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعنى مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فاخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكانما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره . فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا ويلك ما لك به قال : قمت اشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبونني ويخنقونني لكانما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع

---

(١) الاية رقم ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ من سورة النور .

حتى يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال : والله ما أبتغى أن يستغفر لى (١) فنزل فيه قول تعالى : « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين » (٢) .

## النفاق البشرى والنفاق العقائدى :

الفرق بين النفاق البشرى والنفاق العقائدى هو أن النفاق البشرى منافقة شخص معين . أما النفاق العقائدى فهو منافقة الله سبحانه وتعالى . وإذا لاحظنا النوعين من النفاق نجد أن الدافع لهما حب الدنيا وعدم الاهتمام بالآخرة فالذى ينافق الله والمؤمنين يحب الدنيا ولذلك يكذب الحديث ويخلف الوعد ويخون الأمانة ، كذلك الذى ينافق البشر يكذب الحديث ، ويخلف الوعد ، ويخون الأمانة فهذا النفاق البشرى يترتب عليه ضرر كبير فى العقيدة ، فبدلا من أن يتوجه إلى الله فى كل ما يريده يتطلع إلى عبد مثله عاجز عن أن يحقق لنفسه كل ما يريده وكذلك يترتب على النفاق البشرى حرمان شخص يستحق مركزا أو منصبا هو له كفء . وإن من الشيىء الجميل نجد أن من ينافق الله والمؤمنين يحدث الضرر له . ولكننا نجد فى الدنيا أن الذى ينافق هو الذى يحدث له الضرر لأنه يخدع فيمن ينافقه وشتان بين الخالق والمخلوق .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٧٩

(٢) الآية ٥ ، ٦ من سورة المنافقون .

آفـــات النفاق :

١ — ضعف العقيدة .

٢ — اهتزاز الثقة بين أفراد المجتمع .

٣ — المذلة للانسان الذى كرمه الله فأمره أن يطلب منه ولا يطلب من غيره لأنه هو الذى أعطى غيره وغيره لا يستطيع أن يعطى فاقد الشيىء لا يعطيه لغـــيره .

٤ — ضرر المجتمع فالذى يتولى أى منصب بسبب النفاق وليس بسبب الكفاءه فانه يتسبب في حرمان المجتمع من الكفاءة التى تخـــدمه .

## نتائج البـــحث

١ — خطر المنافق أشد من خطر الكافر .

٢ — المنافق دائما يتصف بالصفات الرذيلة من خلف الوعد والكذب فى الحديث وخيانة الأمانة وكل هذه الرذائل تسبب الفساد فى المجتمع .

٣ — المنافـــق مهما حاول أن يغطى موقفه لا بد أن يفضح أمره فى يوم من الأيـــام .

٤ — المنافق يوهم نفسه بأنه سوف يذاب مع المؤمنين فى الاخـــرة ويظل يعيش على ذلك الوهم فترة حياته ثم يفاجا فى الاخـــرة بانه ماواه النار وبئس المصـــير .

وفى نهاية هذا البحث أدعو الله سبحانه وتعالى ألا نكون من المنافقين الذين يحاولون أن يتملقوا المؤمنين لكى يستفيدوا من المغانم الدنيوية ، وكذلك ندعوه آناء الليل وأطراف النهار ألا يجعلنا من المنافقين الذ ن يذلون أنفسهم ويمتهنون كرامتهم فى سبيل الوصول إلى منصب زائل — وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

# مراجع البحث


أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : مراجع التفاسير :

(١) تفسير ابن كثير .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التاويل للزمخشرى .

ثالثا : مراجع السنة النبوية :

(١) صحيح البخارى

(٢) صحيح مسلم .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل .

رابعا : مراجع السيرة النبوية :

(١) سيرة ابن هشام .